

|                   |   |
|-------------------|---|
| العنوان:          | نصوص مختارة في علم النفس : مناهج البحث في علم النفس   |
| المصدر:           | مجلة علم النفس  |
| الناشر:           | جماعة علم النفس التكاملی  |
| مؤلف:             | هيئة التحرير(عارض)  |
| المجلد/العدد:     | مج1, ع2   |
| محكمة:            | نعم   |
| التاريخ الميلادي: | 1945  |
| الشهر:            | أكتوبر  |
| الصفحات:          | 233 - 237   |
| رقم MD:           | 602915  |
| نوع المحتوى:      | بحوث ومقالات  |
| اللغة:            | Arabic  |
| قواعد المعلومات:  | EduSearch   |
| مواضيع:           | المنهج الموضوعی ، المنهج الذاتی ، علم النفس ، مناهج البحث                                       |
| رابط:             | <a href="http://search.mandumah.com/Record/602915">http://search.mandumah.com/Record/602915</a> |

# نصوص مختارة في علم النفس

## مناهج البحث في علم النفس<sup>(١)</sup>

### المنهج الذاتي

يمكن للوقائع النفسية أن تجمع أولاً بواسطة المنهج الذاتي \* (الذي يسمى أيضاً بالمنهج الباطني أو الاستبطاني) ، وهو ملاحظة الشخص نفسه . وما تبلغه هذه الملاحظة هو ما يعرفه الشخص مباشرة ، ويعرفه وحده على هذا النحو ، أي حالاته الشعورية ، والتأثيرات التي يجيها ، وتأثيرات نفسه ، وتأثيرات الأشياء .

فإدراك \* صوت أو لون هو الحصول على خبرة مباشرة ببعض الخصائص الحسية كصوت الناي ولون السماء الأزرق . والفرد لا يعرفها على هذا النحو إلا عن طريق هذه الخبرة فالمولود أعمى أو أصم سيبقى أبداً على جهله بها . وكذلك الشعور بانفعال \* كالخوف مثلاً . هو ، بكيفية ما ، معرفة هذا الخوف ، على أقل تقدير ، في الصورة التي تنكشف تكشفاً مباشراً للشخص من جراء خوفه . وعند ما أتذكر ، أعلم مباشرة أنني أفكر في ماضي الخاص ، في هذا الحادث أو ذاك الذي وقع لي في الماضي الذي أختبره من جديد في بعض نواحيه اختباراً داخلياً . وفي إمكانى وحدي دون غيري أن أدرك مباشرة ماذا يحدث في ذهني في مثل هذه اللحظة . ففي هذه الأمثلة ، يكون إدراكي وانفعالي وتذكرى بمثابة حالاتي الشعورية ، أي نوع من عالم مغلق أعرفه معرفة فريدة ممتازة .

(١) Pauli Guillaume ; Psychologie, pp. 4-8 Alcan, Paris 1931

بول جيوم : ولد سنة ١٨٧٨ ، استاذ علم النفس بجامعة باريس . ومن مؤلفاته : المحاكاة لدى الطفل ١٩٢٥ - ترجمة كتاب كهبلر : الذكاء لدى القرود العليا ١٩٢٧ - علم النفس ١٩٣١ - تكوين العادات ١٩٣٦ - سيكولوجية الصيغة ١٩٣٧ وهو عرض واف واضح لنظرية « الجشطلت » ولأمم التجارب التي قام بها علماء هذه المدرسة - علم النفس الحيواني ١٩٤٠ - مدير مجلة علم النفس الفرنسية Journal de Psychologie ويساهم في تحرير « السنة السيكلوجية » والمجلة الفلسفية كما أنه ساهم في تحرير الجزء الثامن من دائرة المعارف الفرنسية الخاص بالحياة العقلية سنة ١٩٣٨ .

## المنهج الموضوعي

وبدلاً من أن يلاحظ الشخص نفسه ، يمكنه أن يلاحظ غيره من الأشخاص كما يلاحظ أي موضوع من الموضوعات الأخرى . ومن هنا جاءت تسمية هذا المنهج بالمنهج الموضوعي \* فالملحوظ هنا هو غير الشخص الملحوظ . وما يلاحظه هو وقائع فيزيقية . أي ، من جهة ، الموقف الفيزيقي الذي يحيط بالشخص الملحوظ ، ومن جهة أخرى تصرفه أو سلوكه إزاء هذا الموقف \* وعلى خلاف الحالات الشعورية الفردية ، يمكن لأكثر من شاهد واحد أن يشاهد هذه الوقائع الفيزيقية ، كما أنه يمكن ضبط ملاحظات كل شاهد بملاحظات غيره . وفي وسع الشخص أن يدرس نفسه دراسة موضوعية جزئية بملاحظة ما يصدر عنه من حوادث فيزيقية كالكلام والحركات التي يمكن لغيره كذلك أن يدركها .

ولنعد الآن إلى الأمثلة السابقة . فالمقصود من دراسة الحساسية \* في أي شخص آخر هو مجرد ملاحظة استجاباته \* الخاصة ( كالحركات والأوضاع والأفعال المعقدة المتبايزة والألفاظ ) عند ما يتعرض لتأثير بعض المنبهات كالإشعاعات الضوئية والأمواج الصوتية ومختلف أنواع التماس الميكانيكي . وليس المقصود أن يشعر الملحوظ بما يشعر به الشخص الملحوظ أثناء هذه الظروف .

وكذلك تقصد بملاحظة انفعالات شخص آخر أن نلاحظ أنه في بعض الظروف ، كماواجهته مثلاً حيوان ضار ، يشحب وجهه وترتعد يداه وتهبط زاويتاه ، فيفر هارباً لكي يختبئ أو يظل واقفاً لا يتحرك ، محمداً بذهول في الشيء المرعب .

وكذلك عند ما نريد التأكد من أن شخصاً آخر يسترجع ذكرى من الذكريات ، نبحت في سلوكه الراهن عن آثار حادث وقع له في الماضي . ففي إمكان الإنسان أن يستفيد من الخبرة المكتسبة وأن يتبصر في عواقب الأمور وان يتفادى الوقوع في نفس الأخطاء وأن يعترف بالجميل أو يحاول الانتقام لما أصابه من ذل وهوان . فقد يشحب الوجه لذكرى الخطر ويحمر لذكرى الإثم . وإن تذكر الطريق هو الاهتداء إليه بسهولة وتذكر الدرس هو تسميحه بدون خطأ للح . . . . . وكذلك يمكن الاستدلال على النسيان بعكس تلك المظاهر السلوكية . والقيام بهذه الملاحظات على شخص آخر يؤدي إلى معرفة عملية التذكر معرفة لها أهمية كبرى من الوجهة العملية . وليس المقصود أن يشعر الملحوظ بما يشعر به الشخص الذي يتذكر .

## العلاقة بين المنهجين

يبدو إذن مما سبق أنه يوجد خلاف كبير بين الموضوعات التي يتناولها كل من هذين المنهجين ، ويتوقف على ذلك اختلاف في تعريف الظاهرة السيكولوجية . فبتعباً للمنهج الذاتي تكون الظاهرة السيكولوجية الحالة الشعورية التي يحياها الشخص . في حين أنها تبعاً للمنهج الموضوعي السلوك في صلته بالموقف كما يظهر للملاحظ الخارجي . ولكن على الرغم من اختلاف الأسلوب في معرفة الظواهر السيكولوجية ، فهناك تضامن وثيق بين الحالة الشعورية والسلوك الخارجي ؛ ولكن إلى أي حد يمكن اعتبار المنهجين مستقلين حقاً بعضهما عن بعض ؟

## المنهج المشترك أو المنهج الإسقاطي

كثيراً ما يعتبر المنهج الذاتي جوهرياً ، وتعريف الواقعة السيكولوجية بإرجاعها إلى الشعور ، التعريف الصحيح دون غيره . في حين لا يعتبر المنهج الموضوعي إلا وسيلة إضافية تساعد على توسيع النتائج التي تسفر عنها الملاحظة الذاتية . وليس السلوك\* في هذه الحالة سوى أمانة أو وثيقة يجب تأويلهما ، ويصبح الغرض من استخدام المنهج الموضوعي إعادة تركيب الحالات الشعورية التي يختبرها الآخرون

والواقع أننا نلاحظ في الأمثلة السابقة التي قصدنا بها مجرد وصف السلوك وصفاً موضوعياً ، أن بعض الألفاظ التي استخدمناها تتضمن تأويلات ذاتية . فعندما ندرس الحساسية عن طريق الاستجابات ، نعني بالحساسية أمراً آخر غير ما نعنيه عندما نتحدث عن حساسية آلة من آلات الوزن ، إذ أننا نفرض وجود حالة شعورية

وفي وصفنا الموضوعي للخوف هل عبارة « حيوان ضار » تعبر عن مجرد خاصية فيزيقية أم عن التأثير الذي يحدثه هذا الحيوان في شعور المشاهد . وليس الهرب أو التوارى مجرد القيام ببعض حركات ، بل تفيد هذه الحركات أن الخائف يريد\* الابتعاد عن عدوه والتوارى عنه . كيف إذن يمكننا الوقوف على حالات الآخرين الشعورية إذا لم نعتمد على ما أطلعنا عليه الملاحظة الذاتية . فإننا نفرض فيهم حالات داخلية ماثلة على أقل تقدير لما كنا لنشعر به لو وجدنا في نفس الموقف . وفي هذه الحالة لكنا سلكنا نفس مسلكهم . فإذا فهمنا المنهج الموضوعي بهذه الكيفية ، يصبح المنهج الذاتي أساساً له . فالمنهج الموضوعي هو بمثابة إسقاط\* حياتنا الداخلية الخاصة على غيرنا من الناس . ويستند هذا الإسقاط إلى ما نلاحظه من مماثلات خارجية .

## المنهج الموضوعي البحث

ولكن هل يمكن تطبيق مثل هذا المنهج الإسقاطي في جميع الحالات . فالإسقاط عملية طبيعية وصحيحة عندما يكون الملاحظ والشخص الملاحظ جد متشابهين من حيث التركيب الجسمي والسلوك . ولكن كلما ضعفت أوجه المماثلة بين أشكال التركيب والسلوك ازدادت عملية الوقوف على حالات الآخرين الشعورية غموضاً وإشكالا . لا شك أنه يحق لنا من الوجهة الفلسفية أن نسلم بنوع من الاطراد والتواصل بين جميع الأشخاص ولكن مثل هذا الافتراض يصبح ناقصا إذا نظرنا إليه من الوجهة العامة . إذ أن العالم يرمى قبل كل شيء إلى أن يكون وصفه للوقائع يقينياً دقيقاً . وثمة جملة من المشكلات تستلزم منهجاً موضوعياً بحتاً . وفي هذه الحالة يقتصر على ربط الاستجابات بالمواقف التي تثيرها ، بواسطة قانون قد يصل الى درجة كبرى من اليقين والدقة ، مع الامتناع التام عن كل تأويل ذاتي

ومثل هذا الاتجاه في البحث منهجي بحت ، إذ أنه لا يتضمن أى إنكار لما يشعر به الآخرون من حالات داخلية . ولا يرجع عدم التحدث عن هذه الحالات الداخلية إلا إلى افتقارنا الى وسيلة تسمح لنا بمعرفتها . فما تقوم به في الواقع هو مواجهة المشكلة من حيث يمكن مواجهتها .

فعلم النفس الحيواني لا يستخدم سوى هذا الضرب من المنهج الموضوعي . فالمحارة ( حيوان بحري صدفى ) تنقلص عندما تسقط على جسمها نقطة من الحامض . ففي وسعي أن أعرف بدقة قانون هذه الظاهرة ، لا كيفية الحالة الشعورية التي قد تكون مصاحبة لها .

وفي كثير من مسائل علم النفس البشرى يكون السلوك ، دون كيفية الحالة الذاتية ، العنصر المتين الحقيقي لإقامة معلوماتنا ؛ ولنا من دراسة النماذج الفردية دليل على ذلك . فبمنا نحكم على شخص آخر أنه ذكي أو أناني أو مخلص أو متكبر أو محتال أو قاس الخ . فما تقصده خاصة هو أنه يسلك في بعض الظروف سلوكا سبق لنا مشاهدته وتعلمنا توقعه والتنبؤ به . وكل ما أصابه علم النفس الحديث من تقدم يبين لنا بجلاء مدى الخطأ الذي تقع فيه إذا اعتمدنا على ما تقدمه لنا الملاحظة الداخلية من معلومات خاصة بالإنسان البالغ المثقف السوي\* للوصول إلى معرفة الطفل والإنسان البدائي والشاذ\*\*.

وفي ضوء المنهج الموضوعي البحث ، لا يكون تأويل الملاحظات إعادة تركيب الحالة الشعورية للشخص الملاحظ ، بل إعادة تركيب مجموعة من الوقائع الموضوعية ابتداء من بعض عناصرها . . . فمعرفة الحساسية هي توقع ما تحدثه منبهات معينة من استجابات . وتأويل الشحوب كعلامة للخوف هو توقع سائر الحركات والأوضاع المميزة للخوف . وإثبات حقيقة الذكرى هو تحديد ظروف السلوك المميزة للذكرى مع مراعاة المواقف المختلفة المرتبطة بهذه الظروف السلوكية . والملاحظة الخارجية هي التي سمحت لنا ، بتتالي الحالات السابقة المتشابهة ، بإقامة هذه المجموعات من الوقائع المتضامنة . ومثل هذا المنهج عام ، مستقل عن الملاحظة الذاتية ويمكن تطبيقه على السواء في الكائنات الشبيهة بنا أو المختلفة عنا مهما كان مدى الاختلاف كبيراً .

عن جيبوم : علم النفس ص . ٤ - ٨

## المنهج الموضوعي في علم النفس<sup>(١)</sup>

إن تحديد موضوع أحد العلوم ومنهجه ليس بحثاً من بحوث العلم بل هو بحث من بحوث الفلسفة ، ومن اليسير أن يتحاشى المرء علاج هذه المسألة التي تتصل بفلسفة العلوم ونظرية المعرفة ورغم أن الفلسفة العامة في عرضها لعلم النفس تواجه هذه المشكلة ، إلا أنه من الواضح أن الحلول التي تصل إليها لا تغير شيئاً لا في الوقائع ولا في القوانين التي

(١) Henri Piéron : Psychologie expérimentale, pp. 12-16. Colin, Paris 1927

مترجم هذا النص الأستاذ اسحق رمزي

هنري بيرون : ولد سنة ١٨٨١ ، أستاذ علم النفس الفسيولوجي في «الكوليج دي فرنس» مدير معمل علم النفس في جامعة باريس ، مدير معهد التوجيه المهني ، رئيس قسم العلوم الطبيعية في مدرسة الدراسات العليا بباريس .

ومن أهم مؤلفاته : كيفية إجراء التجارب في معمل علم النفس التجريبي ، بالاشتراك مع طولوز Toulouse — تطور الذاكرة ، ١٩١٠ — مشكلة النوم من الوجهة الفسيولوجية ١٩١٢ — الدماغ والفكر ، ١٩٢٣ ، وله ترجمة انجليزية — علم النفس التجريبي ١٩٢٢ ، وله ترجمة انجليزية — النمو العقلي والذكاء ١٩٣٠ — حساسيات البشيرة ١٩٣٢ — المعرفة الحسية ومشكلات الإبصار ١٩٣٦ — مدير « السنة السيكولوجية » منذ ١٩١٣ ، سكرتير عام دائرة المعارف العامة للناسر Doin ، ساهم في تحرير « الموسوعة الفسيولوجية » للناسر Masson ، والموسوعة السيكولوجية الجديدة للناسر Alcan ، كما أنه ساهم في تحرير الجزء الثامن من دائرة المعارف الفرنسية الخاص بالحياة العقلية ، ١٩٣٨ .